المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية | المجلد :6 / العــدد: 1(2021)، ص 91- 107

الهِجْرَةُ المُورِيسْكِيَّةُ وَتَأْثِيرُهَا في المَغْرِبِ الأَوْسَطِ

The Migration of the Moriscos and its Impact on the Middle Maghreb

خالد ضو *	سامية بشير باي
جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة (الجزائر)	جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة (الجزائر)
البريد الالكتروني: eettaalleebb@gmail.com	البريد الالكتروني: samiababey@gmail.com

تاريخ الاستلام: 22/ 03/2021 تاريخ القبول: 15/ 04/ 2021 تاريخ النشر: 30/ 04/ 2021

ملخص:

يدرس هذا البحث الآثار الثقافية والحضارية التي خلفتها هجرة الموريسكيين إلى المغرب الأوسط، ويهدف إلى التعريف بالهجرة الموريسكية، كما يهدف إلى بيان آثارها الثقافية على سكان المغرب الأوسط، وبيان آثارها الحضارية في البناء والتعمير، ومن أهم نتائج البحث أن الموريسكيين خلفوا آثارا ثقافية كبيرة على سكان المغرب عند احتكاكهم بهم، كما كانت لهم بصمة ظاهرة في البناء والزراعة والصناعة، ومنها ما هو باق إلى اليوم.

كلمات مفتاحية: الموريسكيون؛ الهجرة الموريسكية؛ الحضارة الأندلسية؛ المغرب الأوسط.

Abstract:

This research studies the cultural and civilizational effects left by the migration of the Moriscos to the Central Maghreb, and aims to introduce the Moresque immigration. It also aims to explain its cultural effects on the inhabitants of the Middle Maghreb, and to show its civilizational effects on construction and reconstruction. One of the most important results of the research is that the Moriscos left significant cultural impacts on the inhabitants of Maghreb when their friction with them, as they had an apparent imprint in construction, agriculture and industry, and some of them remain to this day.

Keywords: *Moriscos immigration; Andalusian civilization; Middle Maghreb.*

* المؤلف المرسل: خالد ضو – eettaalleebb@gmail.com

1. مقدمة:

1-1. تمهيد:

الحمد لله ربّ العالمين، حتى يبلغَ الحمد منتهاه، والصّلاة والسّلام على النبيّ الأمين، محمّدٍ بن عبد الله، عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فإنّ التطور التاريخي للأحداث هو السبب الأول والأساسي للتطور الثقافي والحضاري للأمم، فقد كانت الشعوب ومازالت تأخذ من بعضها الثقافات والأفكار، وكل بناء في لبنة المجتمع يبدأ من أسس ومبادئ مسبقة، وبالنظر إلى التاريخ نجد أنّ الكثير من الأمم استمدت ثورتها الفكرية أو الصناعية أو الزراعية من استعمار استوطنها أو من قوم هاجروا إليها.

مرّ على الجزائر عبر الزمن العديد من الحضارات، وتركت آثارا كبيرة ثقافية ومعمارية، ومنها ما هو قائم إلى الآن، ومن الأحداث التاريخية المعروفة في بلاد المغرب والأندلس والتي أثرت على الجزائر من الناحيتين الثقافية والحضارية؛ ما يسمى بهجرة الموريسكيين، وهي خروج المسلمين من الأندلس بعد سقوطها ودخولها في الحكم المسيحي، وقد جاء هذا البحث يُسلط الضوء على جانب من هجرة الموريسكيين من الأندلس، ومدى تأثير تلك الهجرة على المغرب الأوسط ومدنه الكبرى آنذاك من حيث الثقافة والحضارة.

1-2. أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية هذا الموضوع في عدة نقاط يُذكَرُ منها:

- تعلّقه بتاريخ الجزائر الثقافي والحضاري.
- تعريفُه بهجرة الموريسكيين التي تُعدُّ من أبرز المحطات التاريخية في الأندلس.
- إبرازه لمستوى العلوم النقلية والعقلية في الأندلس، ومدى انتشارها.
- اشتماله على جملة من الفروع العلمية؛ تاريخ، وعلوم دينية، وثقافة وفنون.

1-3. إشكالية البحث:

تنطلق هذه الدّراسة من الإشكال الآتي:

- **ما مدى التأثير الثقافي والحضاري للموريسكيين عند هجرتهم إلى المغرب الأوسط؟**

ويندرجُ ضمن هذه الإشكالية التساؤلات الفرعية الآتية:

- من هم الموريسكيون؟
- ما المقصود بالهجرة الموريسكية وما دوافعها؟

- ما المقصود بالمغرب الأوسط؟
- ما المجالات التي تأثر بها سكان المغرب الأوسط من الموريسكيين؟

1-4. أهداف الدّراسة: تهدفُ هذه الدراسة إلى الآتي:

- التعريف بمصطلح الموريسكيين، وتحديد المقصود به.
- التعريف بالهجرة الموريسكية، وبيان دوافعها.
- بيان الصور الثقافية في المغرب الأوسط المكتسبة من ثقافة الموريسكيين.
- بيان اللمسات الحضارية في المغرب الأوسط المستوحاة من نهج الموريسكيين.
- إبراز أهمية التلاقح الفكري والثقافي للأمم والشعوب، ودوره في تفعيل التطور الحضاري.

1-5. خطة الدراسة:

للإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة، ولتحقيق أهداف البحث قُسّمتْ هذه الدّراسة إلى ثلاثة عناصر، تتقدمُها مُقدّمةٌ، وتليها خاتمة، وتفصيلها كالآتي:

1. مقدمة: وفيها أهمية الموضوع وإشكاليته وأهدافه ومنهج دراسته وخطة تقسيمه.

2. التعريف بمصطلحات الموضوع.

2-1. تعريف الهجرة والتهجير.

2-2. تعريف الموريسكيين.

2-3. هجرة الموريسكيين.

2-4. تعريف المغرب الأوسط.

3. التأثير الثقافي للموريسكيين في المغرب الأوسط.

3-1. التأثير في أساليب التعليم والتعلم.

3-2. التأثير في مجال العلوم الدينية واللغة.

3-3. التأثير في مجال الكتابة والخط والفنون.

4. التأثير الحضاري للموريسكيين في المغرب الأوسط.

4-1. التأثير في الجانب الاجتماعي.

4-2. التأثير في الجانب الاقتصادي.

4-3. التأثير في الجانب العمراني.

5. الخاتمة: وفيها أهمّ النتائج التي توصّلتْ إليها الدّراسةُ، مع بعض الاقتراحات.

1-6. منهج الدّراسة: أُنتُهِجَ في معالجة هذا المقال عدّة مناهج، وذلك كالآتي:

- المنهج التاريخي: وذلك في سرد أخبار الموريسكيين وهجرتهم وآثارهم في المغرب الأوسط.
- المنهج الوصفي: وذلك في تعريف الهجرة والمغرب الأوسط ووصف مصطلح الموريسكيين.
- المنهج التحليلي: وذلك في تحليل بعض الأحداث والنصوص التاريخية.

2. التعريف بمصطلحات الموضوع:

يتعلق هذا الموضوع بهجرة الموريسكيين وأثرها في المغرب الأوسط، وللخوض في تفاصيله لا بدّ من تعريف الهجرة والتهجير وتحديد المقصود بالموريسكيين والمغرب الأوسط، وذلك في الآتي:

2-1. تعريف الهجرة والتهجير:

هجَرَهَ يَهْجُرُه هَجْراً وهِجْرانا: صرمه، وهما يتَهجِرانِ ويتهاجران، وَالِاسْم الهِجرَة، والهِجْرَة والهَجْرَةُ: الْخُرُوج من أَرض إِلَى أَرض، وهاجَرَ: خرج من أَرض إِلَى أُخْرَى، وهاجرَ أرضه وَقَومه: باعدهم، والمهاجِرون: الَّذين ذَهَبُوا مَعَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ عمر بن الْخطاب رَضِي الله عَنهُ: هاجِروا وَلَا تَهَجَّروا، أَي لَا تشبهوا بالمهاجرين.[1]

الهِجْرة مصدر هاجرَ، هاجرَ عن، هاجرَ من، وهي الخروج من أرض إلى أخرى، سعيًا وراء الأمن أو الرزق، ومنها الهِجْرة النَّبويَّة: وهي خروج النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم من مكَّة إلى المدينة سنة 622م، لذلك تسمى المدينة المنوّرة دار الهجرة.[2]

التَهْجير مصدر هجَّرَ، هجَّرَ إلى، وهو إكراه وتشريد وإرغام شخص أو جماعة على مغادرة مسكن أو بلد من جرَّاء حربٍ أو نزاعٍ مُسلَّح أو فتنة سياسيَّة.[3]

2-2. تعريف الموريسكيين:

أُستُخدمت كلمة "موريسكي" لأول مرة في 2 سبتمبر 1523م، كمصطلح يعبر عن المجتمع الباقي من المسلمين في الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة 1942م، وهذا لا يعني أن الكلمة لم تعرف ولم تستخدم قبل هذا التاريخ، فقد استخدمها المجلس البلدي لمحافظة "بياسة" عندما أصدر أوامره للحانات والفنادق بتقديم النبيذ للموريسكيين، واستخدم هذا المصطلح سنة 1500م كصفة لتحديد شرعية وقانون حقوق المسلمين في وثيقة تحت بند "احتفالات الموريسكيين"، وبعدها تحول هذا المصطلح من صفة الى اسم عندما اعتبر على أنه لا يقتصر على الدلالة الدينية بل اشتمل تسمية لحضارة وثقافة مختلفة عن ثقافة المسيحيين.[4]

ويقول خوليو باروخا أن المصطلح مشتق من اللاتينية mauriscus أو mauriskus وهناك أيضا مصطلح في الرومانية العامة يحمل هذا المعنى وهو mauriscus ويستخدم في تعريف المسلمين mauro، وكلمة موروس moros أي مسلمين يطلق في بعض النصوص الإسبانية على عرب إسبانيا أو مسلمي الأندلس والمغرب أو على المسلمين عامة.[5]

2-3. هجرة الموريسكيين:

بعد سقوط غرناطة زالت حرمة الإسلام عن المسلمين وقطع لهم الأذان في الصوامع والاجتماع للصلوات في المساجد، ومن أراد الصلاة فعلها في داره، وأمر كبار غرناطة بالخروج من المدينة إلى الأرباض، وبادر المسلمون بالجواز إلى العدوة من المراسي فخرج من بقي من أهل مالقة في ثلاثة أيام إلى بادس، وخرج أهل المرية في نصف اليوم إلى تلمسان، وخرج أهل الجزيرة الخضراء في نصف اليوم إلى طنجة، وخرج أهل رندة وبسطة وحصن موجر وقرية قردوش وحصن مرتيل إلى تطوان وأحوازها، وأهل ترقة خرجوا إلى المهدية، وخرج أهل منسين إلى بلاد الريف، وخرج أهل دانية وأهل جزيرة صقلية في أربعة أيام إلى تونس والجزائر والقيروان، وخرج أهل لوشة وقرية الفخار والبعض من غرناطة وأهل مرشانة وأهل البشرة إلى قبيلة غمارة بزاوية سيدي أحمد الغزال وخرج أهل بربرة وبرجة وبولة وأندراش إلى ما بين طنجة وتطوان ثم انتقل البعض منهم إلى قبيلة بني سعيد من قبائل غمارة وخرج أهل مرينية في يوم إلى مدينة أزيلة وما قرب منها ثم خرج أهل مدينة بليش وشيطة وقرية شريش إلى مدينة سلا وخرج ما بقي من أهل غرناطة في وخرج ما بقي من أهل غرناطة في خمسة عشر يوما إلى بجاية ووهران وبرشد وزوالة ومازونة ونفطة وقابس وسفاقس.[6]

2-4. تعريف المغرب الأوسط:

المغرب الأوسط فيه مدن كثيرة، وقاعدتها مدينة تلمسان، وحّد المغرب الأوسط من وادي مجمع، وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان بلاد تازا من بلاد المغرب في الطول، وفى العرض من البحر الذي على ساحل البلاد، مثل مدينة وهران ومليلة وغيرها من البلاد الساحلية إلى مدينة تنزل، وهى مدينة في أول الصحراء، وهى على الطريق إلى سجلماسة.[7]

ومن مدن المغرب الأوسط أيضا: الجزائر، بونة (عنابة حاليا)، تنس، مازونة، مليانة، مستغانم، ندرومة وقسطنطينة[8]، وهو ما يشكل حاليا دولة الجزائر.

3. التأثير الثقافي للموريسكيين في المغرب الأوسط:

كان للمهاجرين الأندلسيين تأثيرات واسعة في الحياة الثقافية لبلاد المغرب بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، وتكونت بفضلهم مراكز علمية لعبت دورا في انتشار النشاط الثقافي والتطور العلمي بالحواضر التي أقاموا بها مثل القيروان بإفريقية، وفاس بالمغرب الأقصى، وبجاية وتلمسان والجزائر بالمغرب الأوسط.[9]

3-1. التأثير في أساليب التعليم والتعلم:

ساهمت الشخصيات العلمية الأندلسية المقيمة بحاضرة بجاية الحفصية في إثراء الحركة العلمية والثقافية من خلال ممارستها للتعليم والتدريس بطرق متنوعة ومختلفة، حتى أصبحت بجاية منارة علمية تجذب إليها طلبة العلم من مختلف المدن المغربية، ومحطة ينزل بها العلماء لإلقاء دروسهم، ومثال ذلك ما حدث مع شيخ العلوم العقلية الشيخ الآبلي، فحين عودته من تونس إلى تلمسان الزيانية مرّ بمدينة بجاية وأقام بها شهرا قرأ عليه فيه طلاب العلم مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه.[10]

أسهم العلماء الأندلسيون الذين هاجروا إلى بجاية في تطوير الثقافة العربية الإسلامية ما ساعد في تأصيل التراث الأندلسي وكذا تطوير الأساليب العلمية الأندلسية، وقد احتوت المكتبة العربية الأندلسية على تصانيف عديدة في مختلف العلوم؛ العقلية منها والنقلية، كما اكتسبت البرامج الدراسية القائمة على المتون والشروح والتعليقات طابعا أندلسيا سواء في طريقة التأليف أو في أسلوب التدريس بها، لذلك أصبح العديد من الأساتذة وطلبة العلم يهتمون بالتأليف الأندلسي، سواء ما ألّفه الأندلسيون أو ما أُلِّف بالمغرب الأوسط.[11]

عرفت الجزائر إسهاما واسعا ونشاطا كبيرا للأندلسيين خاصة في بناء المدارس، ومنها مدرسة الأندلس، ومدرسة القشاش.[12]

3-2. التأثير في مجال العلوم الدينية واللغة:

برز في المغرب الأوسط العديد من علماء التفسير والحديث، وأغلبهم كان يسافر ويتلقى العلم من علماء المشرق والمغرب، وقد نبغ في الأندلس في القرنين السادس والسابع كثير من علماء الدين مثل أبي عبد الله القرطبي وأبي عبد الله الشاطبي، لذلك تأثر أعلام المغرب الأوسط بطرقهم وأساليبهم.

3-2-1. علوم القرآن:

برز العديد من العلماء بالمغرب الأوسط في هذا المجال منهم ابن الشريف التلمساني توفي سنة 1370م، درس بتلمسان وتونس وبجاية عدة علوم منها علم التفسير، ودرس قبل ذلك في غرناطة، وأيضا ابن زاغو توفي

سنة 1470م، والشيخ المغراوي الذي عرف بعلم التفسير، والشيخ أبو عبد الله الشاطبي الذي توفي بعد سنة 699هـ، وكان عالما بعلم القراءات، وهو من شاطبة الأندلسية لكنه استوطن بجاية ودرس بها.[13]

كما ساهم المهاجرون الأندلسيون في انتشار المذهب المالكي على الرغم من أنه كان انتشر في منطقة المغرب الأوسط وتمسكوا به، وذلك عن طريق المدارس التي خصصت لأصحاب هذا المذهب باعتباره مذهبا من مذاهب أهل السنة.[14]

3-2-2. علم الحديث:

اهتم العلماء في الأندلس منذ زمن مبكر بدراسة علم الحديث، وهو من العلوم الأولى التي أقبلوا عليها، وبرزوا فيها، ودليل ذلك الكثير من العلماء بالأندلس والذين ذكرتهم كتب التراجم.[15]

ومن أهم علماء الأندلس الذين اشتهروا في المغرب الأوسط الإمام الفذّ ابن سيد الناس (ت:659هـ)، كان له سعة علم ورواية، ومعرفة ثابتة ودراية، وهو إمام في القراءات والحديث، ولي صلاة الفريضة والخطبة بالجامع الأعظم ببجاية، وروى بها وأقرأ وأسمع، وكان رواية، حافظا بالحديث، عارفا برجاله وبأسمائهم وبتاريخ وفاتهم ومبلغ أعمارهم، واشتهر حاله وعلمه وفهمه حتى وصل خبره إلى المستنصر بالله بحاضرة إفريقية فاستدعاه وأكرمه.[16]

3-2-3. اللغة والأدب:

من بين العلماء الأندلسيين الذين برزوا في مجال الأساليب الأدبية والسجع والمحسنات البديعية والجمل القصيرة الموزونة نجد منهم ابن عمار، ابن حمادوش، ابن الميمون وغيرهم.[17]

3-3. التأثير في مجال الكتابة والخط والفنون:

3-3-1. مجال الكتابة والخط:

أثَّرت الجالية الأندلسية على فن الكتابة وأساليبها في المغرب، وصارت الكتابة الاندلسية من أجود الكتابات في النسخ والتجليد وامتلأت بها خزائن القصور[18]، ومن الشخصيات التي أثرت في هذا المجال الكاتب أَبُو المطرِّف أَحْمد بن عميرَة المخزومي؛ عَظِيم الأندلس فِي الْكِتَابَة وَفِي فنون من الْعُلُوم وَقد كتب عَن زيان بن مرْدنيش ملك بلنسية[19]، ومنهم الخطيب الكاتب البارع الأديب أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الجنان (ت: 610هـ) من أهل الرواية والدراية، والحفظ والإتقان، وجودة الخط، وحسن الضبط. وهو في الكتابة من نظراء أبي المطرف المخزومي.[20]

وأما الخط فقد أقبل طلبة العلم والكتّاب في المغرب الأوسط على تعلمه من الأندلسيين لما تفرقوا في الأمصار بعد سقوط العديد من المدن الأندلسية وهجرة الكثير من الأندلسيين نحو شمال إفريقية، فغلب خطهم على الخط الإفريقي، ونسي خط القيروان والمهدية، وصارت خطوط أهل إفريقية كلها على الرسم الأندلسي.[21]

يعود سبب انتشار الخط الأندلسي إلى تواجد الكثير من المهرة فيه من الذين حلوا على البلاد[22]، مثل أبي محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري، أصله من "أبدة" وجده عمر هو الواصل إلى بجاية مستوطنا، ولد ببجاية وقرأ بها، وكان رحمه الله يحمل فنونا من العلم والفقه وأصول الفقه والمنطق والتصوف، والكتابتان الشرعية والأدبية، والفرائض والحساب، وكان بارعا في الخطوط، ويكتب الشرقي والغربي.[23]

3-3-2. التأثير في مجال الفن والموسيقى:

انتقلت الموسيقى الأندلسية التي كانت منتشرة في غرناطة وإشبيلية إلى البلاد التي هاجروا إليها، فشاع نظم الموشحات وتلحين الأغاني التي حافظت على بنائها اللغوي وطريقة إنشادها حسب تقاليدها الأندلسية.[24]

ومن أهم المدن التي استوطن بها الأندلسيون نجد مدينة بجاية التي أصبحت تشبه مدينة إشبيلية في مجال انتشار الموسيقى والطرب[25]، وقد قال عنها حسن الوزان: "البجائيون أناس طيبون ميالون إلى المرح والموسيقى والرقص، لا سيما الأمراء الذين لم يشهروا الحرب على أحد قط".[26]

كان في المجتمع الجزائري في القرون السابقة ثلاثة أنواع من الموسيقى، موسيقى الأندلسيين (موسيقى الحضر) وموسيقى العثمانيين وموسيقى البدو، ويتميز كل نوع بخصائص وآلات معينة، إلا أن الموسيقى الأندلسية كانت الأكثر انتشارا لكثرة آلاتها وتنوعها.[27]

كما أحيوا المدائح النبوية وقصائد المدح والغزل ووصف الطبيعة التي كانت تعزفها الآلات الموسيقية في الأعياد والمواسم والسهرات العائلية ومن أشهر منظمي هذه الموشحات نجد أبا العباس أحمد بن عمار الأندلسي الجزائري متولي إفتاء المالكية سنة 1776م، مؤلف نحلة اللبيب في الرحلة إلى الحبيب، كما نجد أيضا محمد بن شاهد الأندلسي الجزائري.[28]

4. التأثير الحضاري للموريسكيين في المغرب الأوسط:

لم يقتصر التأثير الأندلسي على المغرب على الجانب الثقافي فقط، فقد أثر الأندلسيون على المغاربة حتى في الجانب الحضاري؛ فقد أثروا اجتماعيا في العادات والتقاليد، وأثروا اقتصاديا؛ بحيث ساهم الكثير من التجار والصناع والحرفيين والمهنيين في التواصل الحضاري، وكان لهم دور مهم في تطوير الاقتصاد.[29]

4-1. التأثير في الجانب الاجتماعي:

إن احتكاك الأمم ببعضها يولد لا محالة اختلاط الأعراف وامتزاج التقاليد، والموريسكيون الأندلسيون عند هجرتهم للمغرب الأوسط جلبوا معهم أعرافهم وتقاليدهم، وقد صار بعضها من أعراف المنطقة لكثرة اشتهاره وانتشاره.

4-1-1. التأثير على الأعراف والتقاليد:

حافظ الأندلسيون على تقاليدهم سواء في المعاملات أو في الأفراح أو في طرق الطهي وتحضير الطعام والأكل، وكذا نوعية اللباس بحيث أثر الأندلسيون على أهل المغرب في اللباس؛ وهناك ما بقي منتشرا باسمه، وهناك ما أطلق عليه اسما مغربيا، وهناك ما عُدّل شكله عبر تطور الزمن، كما حملوا معهم بعض المعتقدات إلى الجزائر مثل صورة الكف (الخمسة) وهي من المعتقدات المسيحية التي رسخت في أذهان الموريسكيين، ولأن الكف هي كف مريم البتول فهي تعتبر معتقدا مانعا للأرواح الشريرة وتطرد كل شيطان رجيم.[30]

4-1-2. التأثير على المظهر واللباس:

ومن حيث اللباس فقد نجحوا في فرض أذواقهم على أغلبية سكان المدن كالجزائر والبليدة وشرشال والقليعة، حيث كان لباس المرأة يتكون من عدة قطع منها: القمجة، طوق، الفستان، الصدرية، القرباطة، البليغة، الريحية، المحرمة، الملاية.[31]

4-1-3. التأثير على العلاقات الاجتماعية:

أسّس الأندلسيون مؤسسات خيرية كانوا يهدفون من خلالها إلى التضامن وخدمة فقرائهم ولم شملهم، وكان من مهام هذه المؤسسات بناء المساجد والزوايا ومختلف المؤسسات الدينية، وما جعل الأندلسيون يهتمون بالأوقاف دون غيرهم من المجموعات السكانية الظروف التي واجهتهم عند استيطانهم بالجزائر، حيث واجه الأندلسيون أخطار وتهديدات الإسبان للمدن الساحلية، وكذا اختلاف أساليب العيش ومستوى الحضارة؛ الأمر الذي دفعهم إلى التكتل ولمّ شملهم.[32]

4-2. التأثير في الجانب الاقتصادي:

استوطن أفراد الجالية الأندلسية بالمدن الساحلية وأصبحوا يشكلون طبقة برجوازية لم تكن موجودة من قبل في الجزائر، فاشتغلوا في بعض الصناعات والمهن ومارسوا التجارة، وكان هدفهم الرئيسي الوصول إلى مناصب عليا، كما كانت هذه الجماعة متفاوتة الطبقات، فمنهم الأغنياء والفقراء والبحارة والمغامرون.[33]

وعلى الرغم من أن أغلب الأندلسيين كانوا يعتبرون أنفسهم في دار الهجرة المؤقتة وكان يترقبون العودة إلى أوطانهم، إلا أن التأثيرات التي أوقعوا بها في المجتمع الجزائري كانت عميقة جدا، ومست مختلف نواحي الحياة، فتطورت المهن والأشغال اليدوية بالمدن التي استقروا بها، كما شاركوا في النشاط البحري، فاشتهروا بركوب البحر ضمن طائفة رياس البحر.[34]

4-2-1. التأثير على التجارة:

كان لأبناء الجالية الاندلسية الذين استقروا في الجزائر دورا فعالا في الاقتصاد وخاصة في التجارة، بحيث امتدت المتاجر الاندلسية في مدينة الجزائر وخاصة في الشارع الممتد ما بين باب عزون وباب انتشرت المتاجر الأندلسية في مدينة الجزائر وخاصة الشوارع الممتدة ما بين باب عزون إلى باب الواد، والمنفتح على حومة الأسواق الرئيسية أسفل المدينة.[35]

وبمختلف الأعمال التجارية والحرفية التي اشتغل بها الأندلسيون فقد ساهموا إلى حد بعيد في بناء اقتصاد مدينة الجزائر حيث عرف سكانها السعة في الرزق والرخاء في المعيشة أثناء القرنين 16 و17، وقال: كان بها ألفان من العنصر الأندلسي، حيث جعلوا مدينة الجزائر غنية بمشاغل الحرير وغيرها.[36]

4-2-2. التأثير على الزراعة:

لقد نشط الأندلسيون في المجال الزراعي في الساحل الشرقي والغربي لمدينة الجزائر، حيث استصلحوا الأراضي وأخرجوا الماء وطوروا نظام السقي وحفروا الآبار وأنشأوا العيون، ومنها ساقية الحامة التي بناها أحد المهندسين الأندلسيين المهاجرين.[37]

استطاع الموريسكيون استصلاح مساحات شاسعة من الأراضي نواحي مدينة متيجة ومرتفعات الساحل من جهة مدينة شرشال ونواحي مدينة تلمسان ووهران، فبفضل مهارات الفلاحين الأندلسيين التي كانت ذات خبرات وتقاليد عريقة في ممارسة الفلاحة اكتسبت الفلاحة في الجزائر الطابع الأندلسي.[38]

ساهم الأندلسيون في تطوير بعض تقنيات الري بالمغرب، فركبوا عدة نواعير، كما قاموا بجلب بعض المنتوجات، فغرسوا الزيتون بأقطار المغرب العربي، وحسّنوا إنتاج الخضر والفواكه، وقاموا بتربية دود القز.[39]

جلب الأندلسيون تقنيات زراعية متطورة من الأندلس إلى الجزائر، سواء من حيث الآلات الزراعية أو من حيث أساليب التلقيح والتلقيم وتحسين أنواع عديدة من الأشجار كالعنب والمشمش والزيتون والتفاح، كما أدخلوا أنواع عديدة من الخضر والفواكه مثل الكرز والقرنون والجلبان.[40]

4-2-3. التأثير في الصناعة:

لعبت الهجرة الأندلسية دورا إيجابيا في مجال الصناعة في المغرب الأوسط، بحيث جلبوا معهم العديد من المهن والحرف الجديدة، وكان للأندلسيين دور فعال في النسيج السكاني بالجودة المطلوبة، كما تواجد العديد من المهاجرين الأندلسيين في بجاية في العهد الحفصي من أصحاب المهن والحرفيين.[41]

وازدهرت مدينة بجاية بصناعة السفن والأساطيل البحرية بسبب توفر مادة الخشب، ووجود الزفت والقطران، وكذا وجود المعادن مثل الحديد، كما ظهرت صناعة الورق والشمع الذي كان الصناعة المفضلة لدى التجار الأوروبيين، وكان يستعمل للإضاءة في ذلك العصر.[42]

كما اشتهرت مصانع الحرير الاندلسية بمدن الجزائر والقليعة وشرشال وبرشك بجودتها، وكان يُصدَّر الكثير منها للخارج، كما اشتهرت المناطق الغربية من الجزائر بصناعة الزرابي ذات الطابع الأندلسي وذلك في تلمسان وقلعة بني راشد.[43]

4-3. التأثير في الجانب العمراني:

انتقل الكثير من الأندلسيين إلى بلاد المغرب طوعا وكرها، ونقلوا معهم حضارتهم واستحكمت في بلاد المغرب لاستيلاء دولتهم على المنطقة، ولكثرة الاحتكاك بينهم[44]، وتتمثل الحضارة في العديد من الصور أهمها مهاراتهم العمرانية التي أصبحت نموذجا؛ كطريقة بناء المساجد والبيوت، وبالنظر إلى عمارة المغرب الأوسط نجد الكثير من القصور والمساجد في تلمسان وبجاية شبيهة بتلك التي في إشبيلية وقرطبة والمدن الأندلسية.[45]

تميزت أماكن تجمعات الأندلسيين بمدينة الجزائر والبليدة وشرشال والقليعة ودلس بطابع عمراني خاص حيث أدخل الأندلسيون استعمال أدوات وزخارف بدل التي كانت شائعة قبل حلولهم في الجزائر، كما عرف الأندلسيون باستخدامهم للزخارف والمجصصات والتفنن في ترخيمها وتشكيلها مثلما هو ظاهر في الكثير من مساجد الجزائر، كمسجد الجامع الكبير في الجزائر، الذي بني على يد المرابطين سنة 1082م، حيث تتكون زخارفه من حشوات مربعة تزينها زخارف هندسية متشابكة وأشجار نخيلية وتزاويق في أسلوب مغربي إسباني حمله الأندلسيون إلى شمال إفريقيا.[46]

دلّت الصروح الأثرية بمدينة تلمسان على عمق التأثير الأندلسي في البناء والعمارة في المغرب الأوسط، وذلك بفضل المهندسين والفنانين الأندلسيين الوافدين إلى المغرب الأوسط؛ تلمسان وبجاية، وقد مس هذا التأثير جميع أنواع البنايات، سواء أكانت تابعة للسلاطين والدولة كالقصور والأسوار والأبراج والحمامات، أم تابعة للمعالم الدينية كالمساجد والمدارس.[47]

5. الخاتمة:

بفضل الله وتوفيقه تمّ هذا البحث، وفي ختامه يُمكنُ عرض جملة من النتائج، وذكر بعض الاقتراحات؛ أهمها:

5-1. النتائج:

- ✓ أُستُخدم مصطلح "موريسكي" لأول مرة سنة 1523م؛ للتعبير عن المجتمع الباقي من المسلمين في الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة 1942م، وقد أُستُخدمت هذه الكلمة قبل هذا التاريخ، فقد استخدمها المجلس البلدي لمحافظة "بياسة" عندما أصدر أوامره للحانات والفنادق بتقديم النبيذ للموريسكيين، واستخدم هذا المصطلح سنة 1500م كصفة لتحديد شرعية وقانون حقوق المسلمين في وثيقة تحت بند "احتفالات الموريسكيين".
- ✓ المصطلح مشتق من اللاتينية mauriscus أو mauriskus، وهناك مصطلح في الرومانية يحمل هذا المعنى وهو mauriscus ويستخدم في تعريف المسلمين، وكلمة موروس moros أي مسلمين تُطلق في بعض النصوص الإسبانية على عرب إسبانيا أو مسلمي الأندلس والمغرب أو على المسلمين عامة.
- ✓ بعد سقوط غرناطة زالت حرمة الإسلام عن المسلمين وأوذوا وأُمر بعضهم بالخروج، فبادر المسلمون بالجواز إلى العدوة من المراسي فخرجوا إلى تلمسان وبجاية ووهران وبرشد وزوالة ومازونة ونفطة وقابس وسفاقس وتطوان وأحوازها، وصقلية وتونس والجزائر والقيروان وغيرها.
- ✓ المغرب الأوسط هو ما يشكل حاليا دولة الجزائر، وقد كان فيه مدن كثيرة، وقاعدتها مدينة تلمسان، ومن مُدُنِه: الجزائر، بونة (عنابة حاليا)، تنس، مازونة، مليانة، مستغانم، ندرومة وقسطنطينة.
- ✓ كان للمهاجرين الأندلسيين تأثيرات واسعة في الحياة الثقافية لبلاد المغرب بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، وتكونت بفضلهم مراكز علمية لعبت دورا كبيرا في انتشار النشاط الثقافي والتطور العلمي بالحواضر التي أقاموا بها.
- ✓ من تأثيرات المهاجرين الأندلسيين الثقافية على بلاد المغرب الأوسط أساليب التعليم والتعلم، وكذلك الكثير من العلوم النقلية والعقلية، وأثروا كذلك في فن الكتابة والخطوط، بحيث صارت خطوط أهل إفريقية كلها تعتمد على الرسم الأندلسي.
- ✓ لم يقتصر التأثير الأندلسي على المغرب على الجانب الثقافي فقط، فقد أثر الأندلسيون على المغاربة حتى في الجانب الحضاري؛ بحيث أثروا اجتماعيا بعاداتهم وتقاليدهم في اللباس والأفراح وغيرها، حتى صار بعضها من أعراف المنطقة لكثرة اشتهاره وانتشاره.

- ✓ أثَّر الأندلسيون على المغرب اقتصاديا أيضا؛ فشاركوا في التجارة، ودعموا الزراعة بالكثير من الأصناف التي جلبوها معهم، وساهموا في الصناعة بما يعرفون من مهن، وما يمارسون من حرف، فكانت لهم قدم في التواصل الحضاري، وكان لهم دور مهم في تطوير الاقتصاد.

5-2. الاقتراحات:

- ✓ اهتمام الباحثين بما يخدم تخصصاتهم من فروع قريبة منها؛ تجنبا للجمود الفكري؛ وسعيا لاكتساب حقل معرفي أكبر.
- ✓ الاطلاع على سبل التواصل الثقافي والحضاري بين الأمم والشعوب من منظورها الإيجابي؛ للوصول إلى التعايش الفعال وتحقيق المشترك الإنساني.
- ✓ الاستفادة من الأفكار الحضارية المختلفة وتفعيلها فيما يخدم المجتمع ضمن عاداته وأعرافه، لتحقيق التقدم والتطور دون هتك المبادئ.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1- أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (المتوفى: 685هـ)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1955م.

2- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ق20/16م، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1998م.

4- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، الطبعة الأولى، دمشق، 1425هـ/ 2004م،

5- أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس الغِبْرِيني (المتوفى: 714هـ)، عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت، 1979م.

6- أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ)، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الأولى، عالم الكتب، 1429هـ/ 2008م.

7- الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 1983م.

8- الطاهر بخدة، الهجرة في المغرب الاوسط واقعها وآثارها في منتصف القرن 6هـ إلى أواخر القرن 8هـ (12-14م) رسالة لنيل شهادة الدكتوراه جامعة وهران1، الجزائر، 2016- 2017م.

9- بوداعة نجادي، علم الحديث ورواده خلال القرن السادس والسابع هجري، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران1، الجزائر، المجلد 13، العدد 16، ماي 2012م.

10- جمال عبد الكريم، الموريسكيون تاريخهم وأدبهم، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة.

11- حنيفي هلايلي، الحضور الأندلسي في العهد العثماني على ضوء المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، العدد 25، أوت 2002م.

12- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، بيروت، 1965م.

13- عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (1235-1554م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تلمسان، 2007-2008م.

14- كاتب مراكشي (توفي: ق 6هـ)، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م.

15- محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (المتوفى: 779هـ)، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ.

16- محمد بن عمير، الهجرة الأندلسية للجزائر وتأثيرها الحضاري والثقافي خلال القرن (16- 17م)، مذكرة لنيل الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2018- 2019م.

17- محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه في التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط)، إفريقيا الشرق، الطبعة الثالثة، 1998م.

18- محمد سعداني، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط القرن 13-15م، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2015-2016م.

19- مؤلف مجهول، وهو رجل حربي عاصر الأحداث التي يرويها، نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر وهو كتاب آخر أيام غرناطة، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار حسان، الطبعة الأولى، دمشق، 1404هـ.

20- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2003م.

21- ناصر الدين سعيدوني، من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر: الشبكة المائية في العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، المجلد السادس، العدد الأول، 1995م.

7. **الإحالات والهوامش:** (معلومات المرجع تكون في أول ذكر له فقط)

1- ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1421هـ/ 2000م، ج4، ص155.

2- أحمد مختار عمر وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، 1429هـ/ 2008م، ج3، ص2326.

3- يُنظر: المرجع نفسه، ج3، ص2325.

4- جمال عبد الكريم، الموريسكيون تاريخهم وأدبهم، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ص7- 8.

5- جمال عبد الكريم، المرجع السابق، ص7.

6- مؤلف مجهول، نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار حسان، الطبعة الأولى، دمشق، 1404هـ، ص137- 141.

7- كاتب مراكشي (توفي: ق 6هـ)، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م، ص176.

8- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ، ج5، ص (79، 81، 83، 94، 96، 98، 99، 106)

9- محمد بن عمير، الهجرة الأندلسية للجزائر وتأثيرها الحضاري والثقافي خلال القرن (16- 17م)، مذكرة لنيل الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2018- 2019م، ص53.

10- محمد سعداني، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط القرن 13-15م، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2015-2016م، ص201.

11- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية: مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2003م، ص109-110.

12- المرجع نفسه، ص139.

13- عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (1235- 1554م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة تلمسان، 2007-2008م، ص51- 53.

ويُنظر أيضا: محمد بن عمير، المرجع السابق، ص57.

14- المرجع نفسه، ص57.

15- بوداعة نجادي، علم الحديث ورواده خلال القرن السادس والسابع هجري، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران1، الجزائر، المجلد 13، العدد 16، ماي 2012م، ص230.

16- أبو العباس الغِبْرِيني، عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت، 1979م، ص291- 294.

17- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، المرجع نفسه، ص139.

18- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، الطبعة الأولى، دمشق، 2004م، ج2، ص124.

19- ابن سعيد المغربي الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1955م، ج2، ص363.

20- أبو العباس الغِبْرِيني، المرجع السابق، ص349.

21- ابن خلدون، المرجع السابق، ج2، ص124.

22- محمد سعداني، المرجع السابق، ص212.

-23 أبو العباس الغِبْرِيني، المرجع السابق، ص57.

24- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، المرجع السابق، ص63.

-25 محمد بن عمير، المرجع السابق، ص63.

26- الحسن الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 1983م، ج2، ص51.

27- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ق20/16م، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1998م، ج2، ص442.

28- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، المرجع السابق، ص139 -140.

-29 محمد سعداني، المرجع السابق، ص204.

30- محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه في التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط)، إفريقيا الشرق، الطبعة الثالثة، 1998م، ص293.

31- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، المرجع سابق، ص58.

32- المرجع نفسه، ص77.

ويُنظر أيضا: حنيفي هلايلي، الحضور الأندلسي في العهد العثماني على ضوء المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، العدد 25، أوت 2002م، ص320.

33- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، المرجع السابق، ص34.

34- المرجع نفسه، ص33

35- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص317- 318.

36- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، المرجع السابق، ص137.

37- ناصر الدين سعيدوني، من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر: الشبكة المائية في العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، المجلد السادس، العدد الأول، 1995م، ص69، 72.

38- محمد بن عمير، المرجع السابق، ص36.

39- محمد رزوق، المرجع السابق، ص266.

40- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، المرجع السابق، ص136.

41- محمد سعداني، المرجع السابق، ص206.

42- المرجع نفسه، ص205- 206.

-43 حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص317.

-44 ابن خلدون، المرجع السابق، ج2، ص45.

45- محمد سعداني، المرجع السابق، ص170.

46- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، بيروت، 1385هـ/ 1965م، ج2، ص256- 258.

-47 محمد سعداني، المرجع السابق، ص172.